

## مدينة الكوفة في كتابات المستشرقين لويس ماسينيون انموذجا

د. بيداء حيدر علي حسان العبودي  
الجامعة العراقية ..كلية الاداب .. قسم التاريخ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات سبحانه لا اله الا هو  
نحمده ونشكره ونشهد ان لا اله الا هو و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد  
الصادق الامين و اله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم باحسان الى يوم  
الدين ..

و بعد ..

تعد الدراسات الاستشراقية مصدرا مهما للكثير من الغربيين لفهم الحضارة والثقافة  
الاسلامية فضلا عن اهميتها للعرب و المسلمين انفسهم ، اذ تناولها المستشرقون بصورة  
موضوعية وعلمية بحتة ، ولا يخفى عن الباحثين في هذا المجال ان للمستشرقين ميزات  
عديدة لا بد من الوقوف عندها مثل نشاطهم في البحث وسعه اطلاعهم و حرصهم على  
الاطلاع على لغات الشعوب الشرقية ولاسيما العربية ، كذلك جدهم بالاستقصاء في  
البحث عن الاجزاء الدقيقة لدراساتهم الاستشراقية ..

ومن اهم تلك الدراسات دراسة المدن الاسلامية و عمارتها و البحث في بداية تكوينها  
، حيث اولى المستشرقون اهتماما بالغاً في هذا المجال و درسوا المدن و قارنوا ووضعوا  
الخطط لها و كانت مدينة الكوفة من اكثر المدن اهمية في نظر المستشرقين حيث  
نالت النصيب الاوفر من تلك الدراسات لما لها من اهمية تاريخية و دينية و حضارية في  
الدولة العربية الاسلامية ..

لذلك كانت هذه الدراسة لتسليط الضوء على اهم من كتب عن هذه المدينة و هو  
المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون من خلال كتابه خطط الكوفة ، تناولت الدراسة  
توطئة عن مدينة الكوفة وانتقال المسلمين لها ثم تطرقت الدراسة الى اهتمام المستشرقين  
بالمدينة الاسلامية عموما ثم اعطت الدراسة نبذة مختصرة عن حياة المستشرق الفرنسي  
واهم مؤلفاته وبعدها جاء لب الدراسة و هو كتابه مخطط مدينة الكوفة الذي توسع فيه

من حيث تمصير المدينة واهم قطائعها واسواقها و القبائل التي سكنت فيها مع التاكيد على اهم المصادر التي اعتمدها المؤلف في طرحها لاهمية مدينة الكوفة ..  
توطئة

ورد اسم مدينة عاقولا كثيرا في المصادر السريانية لكن لا يعرف بالضبط متى شيدت بلدة عاقولا قيل انها بنيت في ارض الكوفة على انقاذ مدينة فرثية بناها الملك ولكاش (نولكاش الاول) (٥١ \_ ٨٧ م) و احيانا يرد اسم عاقولا ويقصد بها الكوفة او الكوفا..  
وورد ان القائد سعد بن ابي وقاص قد عسكري بالقرب من مدينة الكوفة اي عاقولا مع العلم انه الكوفة لم تكن قد مصرت قبل فتح طيسفون اي في عام ١٧ هجرية ..  
ونظرا لوجود اثار عشرة اديرة في ظاهر الكوفة لتساءلنا هل يمكن ان تكون بلدة عاقولا قد بنيت بالقرب من الكوفة قبلها بزمن ثم طالها عمران الكوفة فأندمجتا بعد توسيع مدينة الكوفة و يذكر في هذا الصدد انه كان في الكوفة اسقفان احدهما نسطوري و الاخر يعقوبي يسكنون في دار الروم لان نصارى الكوفة كانوا يسمونها عاقولا بالسريانية<sup>(١)</sup>

ولقد كان من اهم نتائج التي ترتبت على انتصار العرب المسلمين في معركة القادسية تاسيس مدينه الكوفة في سنه ١٧ هجرية لاتخاذها محميات و معسكرات ولكي كيف تكون نقطة الانطلاق نحو بلاد فارس والديلم وطبرستان بعد معركة نهاوند بحسب قول عمر ابن الخطاب (لان يتخذوا دار هجرة و لا يجعل بينه وبينهم بحرا) ..<sup>٢</sup>

وكان سعد بن ابي وقاص يعتقد ان المدائن هي المكان المناسب لسكن المقاتلين ولاسيما كونها كانت عاصمة للساسانيين وتمتع بالمناعة و التحصين فضلا عن تمتعها بموقع استراتيجي مهم يساعد المسلمين في الانطلاق نحو الشرق فأختطها سعد واسكن القبائل العربية فيها لكن سرعان ما استوبأها العرب مما دفعهم بامر من الخليفة الى التحول بعد ان كتب الخليفة عمر الى سعد يستفسر عن تغير الوان العرب و معالمهم بعد ملاحظته ذلك على الوفد الذي جاء يخبره بنتائج البحث فامر ان يفتش عن مكان يلائم العرب و حثه على ان يختار لهم ما يوافق طباعهم اذ قال (ان العرب لا يوافقها الا ما يوافق ابلها من البلدان) ..<sup>٣</sup>

ويعد العامل المناخي الاساس في انتقالهم من المدائن لكنه ليس الوحيد بل كان الى جانبه العامل العسكري متمثلا بوجود حواجز طبيعية بين مركز الخلافة وبينها ويتضح ذلك من كتاب عمر (ان لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى ما اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم عليكم قدمت) .<sup>٤</sup>...

وشرع سعد بالتفتيش عن موضع مناسب تنطبق عليه الشروط فتحول الى الانبار و اراد ان يتخذها منزلا للمسلمين ولكن كثرة الذباب في تلك المنطقة حالت دون ذلك فتحول الى سوق الحكمة ° ، وعند بعضهم الكوفة وهي منطقة دون الكوفة وهي كوفة ابن عمر<sup>٦</sup> ونظرا لعدم ملائمة هذه الاماكن لسكن العرب فيها ..

ولاسباب مناخية وواخرى استراتيجية بعث حينذاك كلا من سلمان المحمدي وحذيفة بن اليمان بحثا عن مكان لائق فانطلق سليمان حتى اتى الانبار ثم سار غرب الفرات لا يرضاه شيئا حتى اتى الكوفة وسار حذيفة شرق الفرات ولم يرضه شيء سوى الكوفة وعندما اجتمع رئيهما عليها كتبا الى سعد بن ابي وقاص حيث ارتحل اليها واسكن العرب فيها في محرم سنة ١٧ هجرية وكانت الكوفة تمتلك مقومات قيام المدينة والتي من ابرزها الماء والكأ والمحتطب<sup>٧</sup> ..

وتفردت مدينة الكوفة بخصوصية مميزة لارتباطها بظاهرة الفتح الاسلامي حيث شكلت ثمرة مباشرة لعمليات الفتح ذلك ان مدينة الكوفة تحتل موقع القلب من المنطقة التي تدور فيها المعارك بين العرب و الامبراطورية الساسانية.. منطقة معدة لكي يعمرها المشاركون في القتال و يستقر فيها اغلب المجاهدين العرب و فضلا عن ذلك فقد تجاوز الفتح العربي للعراق مصير الكوفة بصفته قضية تاريخية ذلك ان الكوفة تدرج ضمن ظاهرة الفتح العربي الذي اكتسح العالم<sup>٨</sup> ...

#### الاستشراق والمدينة الاسلامية

مع بداية حركة الاستشراق ازداد اهتمام المستشرقين بالقضايا التي تتعلق بالمسلمين مثل عمارة وتخطيط المدن الاسلامية بشكل ملحوظ وقد تآثرت هذه الدراسات بالمفاهيم والنظم الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية التي تحكم المدينة الغربية وبالتالي انتهت هذه الدراسات الى نتائج خالفت الواقع الى حد بعيد حيث انهم حاولوا اثبات عدم

مساهمة المسلمين في بناء المدن وان مدن المسلمين كانت امتداد للمدن الرومانية والساسانية فقط وان علم التخطيط هو علم حديث ظهر ابان الحرب العالمية الثانية<sup>٩</sup> لكن الحقيقة التي لامراء فيها ان المدن الاسلامية التي بناها المسلمون مثلت صورة صادقة للحضارة الاسلامية ما زلنا نراها في العديد من المدن الاسلامية حيث اختار المسلمون المواقع المميزة و اضافوا اليها فنونهم المختلفة و المتعددة في شتى المجالات حيث تميزت هذه المدن باتجاهات تخطيطية و عمرانية كانت وليدة احتياجات ظروف سكانها و لم يكن حينها علم التخطيط معروف بمفاهيمه ونظرياته المعاصرة، و بدا الكثير من المخططون اليوم يعودون لانظمة و تخطيط المدن الاسلامية التي حققت التطابق و التوافق في الاحتياجات المادية والمعنوية التي انتجت تشكيلا معبرا عن المؤثرات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية<sup>١٠</sup> ..

وعلى الرغم من ذلك ظهر الكثير من المستشرقين امثال جرنوبيوم و كريسويل و لامنس الذين نقدوا المدن الاسلامية من جوانب مظهرية غير مدركين لحقيقة الفقه الذي انطلقت منه متجاهلين الجوانب المعنوية لهذه المدن و من بين الحضارات المعمارية الكبرى تبدو المدينة الاسلامية اكثر تميزا مقارنة مع حضارات اخرى مثل حضارة الفراعنة و اليونان و الرومان فنجد ان عمارة الفراعنة في اهراماتها و معابدها عمارة متجهة نحو السماء في حين اهتم اليونان بجسم الانسان الذي كان موضوعا رئيسيا في عمارتهم ، اما بالنسبة للرومانيه فكانت عمارة ومبان ذا طبيعة اجتماعية مدنية تهتم بالشأن الدنيوي اليومي<sup>١١</sup> ..

وقبل ظهور الحضارة الاسلامية وانتشارها في الجزيرة العربية الى اقصى الشرق والغرب شهدت منطقة بلاد الشام و العراق و سبأ و الجزيرة العربية تعاوبا لمختلف الحضارات التي اعطت البشرية ما لم تعطه الحضارة الرومانية و الساسانية التي ظهرت في اوربا ، واستفادت الحضارة الاسلامية من ثمرات الحضارات التي سبقتها دون ان يؤثر ذلك في اساسيات الفقه المعماري لهذه المدن<sup>١٢</sup>

فقد كان التبادل الحضاري حاجز بين المدن العربية الاسلامية داخل رقعتها الجغرافية وكذلك بينها وبين ما جاورها من المدن في الية اختلف المستشرقون في تفسيرها وان

جنحت في معظم مفاصلها باتجاه غمط حق العرب المسلمين في ما ابدعوا به وحاولوا الصاق البداوة بالعرب وجعلها سبب تخلفهم ، وقالوا انه لا ينبغي اقران اسم العرب بالحضارة والعمارة لانهم اصحاب افكار باهته و بدائية<sup>١٣</sup>

ولقد حاول قسم كبير من المستشرقين النظر للمدينة العربية الاسلامية على وفق ما جاءت به نظريات علمائهم واختصاصيهم مثل نظرية ماكس وبير الشهيرة ذات الخصائص الخمسة و التي تسمى بنظرية النموذج المثالي او من سار على نهجه مثل المستشرق جروبانيوم والمستشرق بيرنيه وغيرهم وهذا بجد ذاته اسقاط مجحف لان المستشرقين لم يدركوا خصوصية المدينة الاسلامية لارتباطها بقواعد الشريعة، على ان اختلاف اراء قسم منهم في هذه النظرة مؤشر لبعض الانصاف في رؤية المدينة الاسلامية مثل نظرة المستشرق البرت حوراني و ريموند و غيرهم ومنهم من نظر لها وفق مؤسساتها الاجتماعية وكيفية السيطرة عليها من خلال ربط كافة شرائح المجتمع بنظام اساسه سلم التدرج في التركيبة الاجتماعية لذلك المجتمع و حسب ما قاله المستشرق غرونيباوم ( ان المستشرقين الفرنسيين المتخصصين في تاريخ المدن الاسلامية في المدن ولعون بها)<sup>١٤</sup>

ومن ابرز اولئك المستشرقون هو المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون الذي تناول مدينة الكوفة و مخططها وقبائلها حيث عد الاستقرار تجربة حاسمة في الكوفة التي كانت لديه نموذجا جديرا بان يبدي الراي فيه المخططون و تتبعه في ذلك ريتشارد يولييان و عرض كل منهما تفسيرا لهذا النجاح العظيم الذي بلغته عملية الاستقرار<sup>١٥</sup> حيث عزاها ماسينيون الى الدور الذي لعبه اليمينيون المتحضرون في القدم و عزاها يولييان الى فقدان الفاصل بين ظاهرة الترحال وظاهرة الاستقرار في ماضي الشرق قبل ظهور الاسلام<sup>١٤</sup>

لويس ماسينيون

يعد احد اعلام المدرسة الفرنسية للاستشراق و التي لعبت دورا مهما في الدراسات الاستشراقية في جميع نتاجاتها العلمية والادبية و حسبنا نعرف ان اول مؤتمر للاستشراق في العالم عقد في سنة ١٨٧٣ في باريس<sup>١٥</sup>

و يعود الفضل لماسينيون في اكتشاف العديد من الاثار المهمة في المنطقة العربية كما وتنوعت نتاجاته العلمية والادبية التي تربو على ٦٠٠ ما بين كتب و مقالات و بحوث

منشورة في المجلات العلمية المتخصصة في الدراسات الاستشراقية<sup>١٦</sup>، ولد ماسينيون في فرنسا عام ١٨٨٣ في احدى ضواحي مدينة باريس لاسرة علمية معروفة<sup>١٧</sup> و في سن مبكرة من دراسته في الثانوية اسس مع مجموعة من اصدقائه الطلبة مجلة اطلق عليها اسم (نحلة فرنسا)<sup>١٨</sup>، ثم بعدها نال شهادة البكالوريوس في الاداب و الفلسفة سنة ١٩٠٤ وبعدها حصل على بكالوريوس الرياضيات و هو العلم الذي اولاه ماسينيون عناية فائقة وظل مولعا به حتى وفاته سنة ١٩٦٢..

كان لنشأة ماسينيون في عائلة علمية اثار مهما في كتاباته عن الشرق وحضارته اذ اشتهر والده فن النحت بعد ماترك دراسة الطب، و يذهب عبد الرحمن بدوي في موسوعته الى ان ولادة ماسينيون في هذا الجو الفني الاثر البالغ في في فكره ونشاته كما انه عني بالاثار القديمة اذ ارسل سنة ١٩٠٧ على راس بعثة للتقيب عن الاثار العراقية ونجح في الكشف عن مواقع اثرية مهمة تعود الى حقبة تاريخية مختلفة وتكملت جهوده باكتشاف قصر الاخضر

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى تم استدعاؤه من قبل الجيش الفرنسي ليعمل كمستشار لوزارة المستعمرات الفرنسية لمدة خمس سنوات<sup>١٩</sup>

واعقل ماسينيون سنة ١٩٠٨ من قبل السلطات العثمانية وزجبه في السجن بتهمة التجسس ولم يطلق سراحه الا بعد تدخل مباشر من عائلة الالوسي<sup>٢٠</sup> وظل يحتفظ لآل الالوسي ذلك الموقف النبيل و كان يفتخر انه اقام عندهم و اكرموا ضيافته وحصل منهم على مصادر مهمة ساعدته على اتمام اطروحته للدكتوراه<sup>٢١</sup>، و بعد انتهاء الحرب العالمية عاد الى نشاط الاستشراقي وعين في عام ١٩١٩ رئيسا مؤقتا لقسم علم الاجتماع الاسلامي في كلية دو باريس<sup>٢٢</sup> تعلم الالمانية و العربية و الفارسية و التركية الامر الذي اتاح اطلاعه بصورة مباشرة عن المصادر الاساسية من تاريخ وثقافة الشعوب الشرقية و من العربية الاسلامية على وجه التحديد

لقد حجز ماسينيون لنفسه موقعا متميزا في عالم الدراسات الاستشراقية ونال شهرة واسعة في هذا المجال، زار ايران و مكث فيها مدة ليست بالقصيرة والتقى بكبار علماء الشيعة<sup>٢٣</sup>، واعتمد على بعض المؤلفين كالتفلي الشيرازي<sup>٢٤</sup>، وكتب عن الحركات

الباطنية كالاسماعيلية<sup>٢٥</sup> والعلوية والنصيرية<sup>٢٦</sup> ، وله بحث عن السيدة الزهراء وانصرف في اواخر حياته لدراسة قصة اهل الكهف في القرآن الكريم<sup>٢٧</sup>

مؤلفات لويس ماسينيون

اهم مؤلفات لويس ماسينيون :

- ١ \_ بحث بعنوان مهمة في ما بين النهرين مركز الدراسات العربية و الشرقية في القاهرة
- ٢ \_ بحث في الاصول اللغوية لمصطلحات التصوف الاسلامي
- ٣ \_ مختارات من نصوص غير منشورة تخص تاريخ التصوف في بلاد الشام
- ٤ \_ هجرة اسماعيل
- ٥ \_ حولية العالم الاسلامي بالاشتراك مع مونتني
- ٦ \_ اخبار الحلاج
- ٧ \_ الطواسين
- ٨ \_ ديوان الحلاج
- ٩ \_ عذاب الحلاج المتصوف الشهيد في الاسلام اربع مجلدات
- ١٠ \_ دروس في تاريخ المصطلحات الفلسفية العربية
- ١١ \_ مخطط الكوفة وغيرها من الكتب و المقالات و المحاضرات<sup>٢٨</sup>  
وما يهمنا من كتابات ماسينيون هو كتاب مخطط الكوفة  
كتاب مخطط الكوفة

تفرد المستشرق لويس ماسينيون في وضع الخريطة الطبوغرافية للكوفة القديمة و شرحها و ايضاح ما يتعلق بها من الوجهات التاريخية و السياسية و العسكرية و العلمية و الادبية و الاقتصادية<sup>٢٩</sup> ويطرح ماسينيون هذا التفرد في مقدمته حيث يذكر ان فكرة وضع الخريطة الخاصة بالمدينة كانت قد راودت كلا من المستشرق فلهاوزن و هنري لامنس لكنهم لم يحققاها و يخرجها الى حيز الوجود ، و شخص عدم تنفيذ تلك الفكرة بانه نقص قد لاحظته في بعثته الاولى للعراق<sup>٣٠</sup> ثم يعلل وصفه خريطه مدينة الكوفة بانها مساعدة على دراسة التاريخ العراقي كذلك عدها درس اجتماعي في كيفية ائتلاف

الاعراب لحياة المدن و تحضرهم<sup>٣١</sup> و في رأينا المتواضع ان الكتاب لم يحط بما وصفه ماسينيون عن مدينة الكوفة من جميع جوانبها ..

عد ماسينيون الكوفة مركزا مهما لحادث اجتماعي عظيم و عاصمة لتأسيس الحضارة الاسلامية ووصفها بانها عاصمة واسعة لمستقبل اللغة العربية وعلومها .. واعتقد انه قصد بالحادث الاجتماعي هو انتقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب سلام الله عليه و اله و جعلها عاصمة لحكمه لكنه لم يتطرق ولو بشيء بسيط عن اهمية تلك المدينة مثل اسباب اختيار امير المؤمنين سلام الله عليه عاصمة لحكمه وان كان قد تطرق لاهميتها الجغرافية

و يطرح ماسينيون الفرق بين الزيارتين التي زار فيهما المدينة ويؤكد على ان الفائدة المتوخاة حدثت في الزيارة الثانية حيث كانت زيارته الاولى قد استغرقت ثلاثة ايام فقط و لم يتمكن من نقل شيء عنها سوى بعض الصور الفوتوغرافية و يستعرض ماسينيون في مجمل زيارته للمسجد و الاماكن المجاورة لها مثل قبر مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ويقارن ما بين الزيارتين الاولى و الثانية باشارته الى انه لم يتمكن من جمع ما يريد جمعه من المعلومات و ذلك لوجود رفقاء له من اهل السنة حيث لم يستطيع سوى التقاط صورتين فوتوغرافيتين و لا نعرف سبب اشارته تلك وماذا كان يقصد من وراء ما اشار اليه رغم انه زيارته الثانية كانت في ١٩٠٨ ..

ويستطرد ماسينيون في وصفه للاماكن التي زارها مع شرح جغرافي مميز لتلك الاماكن و يقرن بعض الاماكن بالاحداث التاريخية مثل وصفه لمنطقة الحنائة<sup>٣٢</sup> حيث يقول (وهو الموضع الذي وضع عليه جثمان علي) و في الحقيقة ان الجثمان الطاهر قد مر بهذا الموضع والاصح انه كان قد وضع فيه راس الحسين سلام الله عليه و رؤوس اهل بيته اثناء طريقهم الى الكوفة ويكمل وصفه الدقيق للموقع الجغرافي لمدينة الكوفة و تشابك جد اولها و اراضيها في فتره الفرس الاخمينيين و الفتره العثمانية ..

وتطرق الى تمصير الكوفة في سنة ١٧ هجرية و يصفها بانها كانت عبارة عن اكوام وكتل من الخصاص (اكواخ القصيبة) في الاعوام الخمسة الاولى و من ثم تطورت و بدأت تملؤها المساكن الحقيقية من الاجر في حين تذكر المصادر القليلة و الخاصة بالكوفة و



تشيدها الى ان الكوفة حصلت على خاصيات المصر الاساسية من اول انطلاقة لها ، و ربط ماسينيون الكوفة بالسواد وانا تستمد عيشها و قاعدتها المادية كنقطة لامتصاص الفيء ، ومرتبطة ببلادبلاد العرب حيث تستمد جوهرها البشري و الثقافي الا ان نشاطها ارتبط بالاحرى بالافق الفارسي الذي اتجهت الى بطاقتها الكاملة<sup>٣٣</sup> حيث استعرض فيه مراحل التمصير معرفا اياه بانه (الانتقال من مرحلة تجمع المعسكرات الى مرحلة التوزيع على حارات المدن) و اضاف (من المعلوم ان الكوفة بعد سنه هجرية ١٧ لم تكن خلال السنوات الخمس الاولى من انشائها سوى مجرد تجمع من خصائص القصب و اثناء ولاية المغيرة ٢٢ هجرية \_ ٢٤ هجرية ظهرت مواقع الخيام المصنفة بصورة دائمة في شكل حيطان صغيرة من لبن ، وفي سنة ٥٥ هجرية بدأ الشروع في بناء دور حقيقية من آجر وكان ذلك في ولاية زياد بن ابيه<sup>٣٤</sup> .. اعتمد ماسينيون على ياقوت في معجم البلدان وأجتزأ عبارة (جدران صغيرة من لبن) لكن لم نجد لها ذكر عند هذا المؤلف ..

ويرى ماسينيون انها كانت اقامة عسكرية في البداية و فسر ضعف الاستقرار ( بان الكوفيين بذلوا نشاط اواسعا في منطقة الجبال واستقر القوم بعد معركة نهاوند سنة ٢١ هجرية وبذلك عوضت الخيام بيوت من لبن و يمكن ان تكون المناهج وحدها هي التي ابنتت فحددت بحيطان صغيرة من لبن) على ان ماسينيون يمثالها بصفوف الخيام<sup>٣٥</sup> ويستعرض بمزيدا من الوضوح القبائل المستقرة ومواقعها ..

ينقل لنا الطبري بعض الاحداث في تسلسلها فحالما استقر اهل الكوفة طلبوا من عمر الاذن في البناء بالقصب ، ويذكر ان عمر لم يرفض مع انه كان يفضل البقاء بالمعسكرات ولا شك انه كان يؤيد نصب الخيام .. ويذكر انه شب حريق في شوال فقضى على كل شيء وحدث ذلك بعد عشرة اشهر من استقرار العرب وطالب اهل الكوفة بعد ذلك بأن يؤذن لهم الصلب<sup>٣٦</sup> يعني اللبن فكان ذلك منطلقا للتخطيط أي ان التخطيط قد تزامن مع قرار البناء .. و نستنتج من ذلك انه في فترة دامت عشرة اشهر برزت الى الوجود بصورة فوضوية و بدون تخطيط مسبق نواة مدينة ثابتة ومبنية بيوتها من قصب و هي متميزة عن المعسكر العادي لكنها لا تبعد عنه كثيرا، كذلك الرغبة في البناء

الصلب أي انشاء مدينة حقيقية ظهرت بقوة وكانت سببا في كافة العمليات التي تؤدي الى تحقيق مشروع التخطيط و الدليل يقدمه علم الاثار بوجود شواهد تاكد على وجود قصر شيد تشيدا صلبا في المدة الاولى ، كذلك دور الاشراف كانت مبنية من الصلب أيضا<sup>٣٧</sup>

و ملخص القول ان المرحلة التي عدها ماسنيون خمسة اعوام هي فترة طويلة جدا حيث ساد التردد في بداية الامر و الاستقرار استتب بصورة فوضوية حيث ظهرت في الاول خصائص عفوية

على وجه ارض الكوفة معبرة عن الرغبة الجارحة في الاستقرار عليها فشكلت ما يشبه القرية العظيمة وجاء دور التخطيط و التمصير سريعا جدا باختلاف المادة المستخدمة في البناء فانتصب على الارض شكل لمدينة مقبلة قادرة على حمل وجود جماعي جديد للاسلام و دائم و مدني و حضري ..

وقارن ماسنيون بين مدينة البصرة و الكوفة حيث يشير الى اسبقية البصرة في التمدن و عزا ذلك الى كونها ميناء (ذلك الميناء الكبير و محل تنزيل البضائع من السفن و حفظها قبل تحميلها على ظهور الابل من المبرد)<sup>٣٨</sup> و قارن ايضا بين المدينتين من حيث الحركة العلمية اذ رجح الكوفة بالكتابة و الخط الكوفي كذلك في النثر و الشعر حيث وجد تطور ثقافي متعلق بالارث نحوي<sup>٣٩</sup>

وتناول ماسنيون تخطيط السكك و المقابر و طرق البريد و المفارق و القطائع كذلك تطرق الى الطبوغرافية الاقتصادية لمدينة الكوفة من حيث الاسواق و المهن المتداولة مثل الصرافة وغيرها وارجعها الى كل من اليهود و الاقلية المسيحية و من الطريف ان ماسنيون يذكر في هذا المجال ان قبيلة ثقيف كان رسول الله قد اجاز لها الربا اثناء كلامه عن احد ولاة الكوفة و هو المغيرة بن شعبة كونه من قبيلة ثقيف حيث فند المترجم لكتاب خطط مدينة الكوفة الرواية بذكره الايات القرآنية بتحريم الربا و ترجيح في ما اذا كانت الرواية من مختلقات المغيرة الذي اشتهر بالكذب و الافتراء<sup>٤٠</sup> ..

ثم يصف قصر الامارة و يحدد موضعه من المسجد و تطرق الى بيت الامام علي سلام الله عليه بكلام مقتضب و لم يوله ما يستحق من الاهتمام كون ان مدينة الكوفة اخذت

اهميتها من كونها عاصمة علي بن ابي طالب سلام الله عليه و نعت رشيد الهجري بالشيعي المتطرف في معترض كلامه عن بيت الامام علي بن ابي طالب سلام الله عليه<sup>٤١</sup> ويؤيد ماسينيون المستشرق لامنس في ان العبادات لم تكن مقتصرة على المسجد الجامع فقط فيذكر عدد من المساجد منذ ابتداء تاسيس مدينة الكوفة وقسمها الى مساجد بطون القبائل مثل مسجد بني عبد قيس و مسجد بني فرن وغيرها من المساجد و القسم الاخر هو المساجد التي جعلتها الحوادث التاريخية اماكن مهمة و عزا بعضها للتبعية الشيعية مثل مسجد الاشعث بن قيس لخيانته لعلي و مسجد جرير بن عبدالله البجلي لاعتزاله قبل وقعة صفين و مسجد سماك بن مخزومة الهالكى الاسدي و هو من الهاربين الى الرقة قبل صفين و اطلق عليها المساجد الملعونة و كان ذكره متصل بتعريف لتلك المساجد من وجهة نظر تاريخية و مساجد مقدسة مثل السهلة وغيرها من المساجد..

ويصل ماسينيون الى النجف و مشهد الامام علي بن ابي طالب سلام الله عليه حيث يعطي معنى كلمه النجف و يعتمد على توزيع الاماكن في النجف الى المستشرق نيوهر و وصف محلاتها<sup>٤٢</sup> ويستعرض ماسينيون المصادر التي كتبت و حققت عن مدينة الكوفة مثل كتاب الهيثم بن عدي و ياقوت الحموي و البلاذري الطبري محللات تلك المصادر و اخيرا اردف الكتاب بذيول الاول كان عن طبوغرافية البصرة معللا ذلك بالارتباط السياسي و الاجتماعي للمدينتين و الذيل الثاني عن القبائل الكوفية و البصرية كذلك الحق الكتاب ببعض الخرائط لمدينة الكوفة القديمة و منشا البطون اليمينية<sup>٤٣</sup>

الخاتمة

و اخيرا يتضح لنا مما سبق ان الكوفة مدينة تركت بصمة واضحة في التاريخ العربي الاسلامي لما لها من دور حضاري و تاريخي و ديني في ان واحد مما اتاح للمستشرقين فرصة للكتابة عنها بعد انجالوا و صالحوا في كثير من الدراسات الاسلامية.. و تميز المستشرق لويس ماسينيون بالكتابة عن تلك المدينة بعد ان قام بزيارتين لها فكتب مخطط مدينة الكوفة و رسم بعض معالمها الاساسية و ان كان قد او جز منها الكثير لكن الامر الواضح من تاليف الكتاب هو الصبغة الطبوغرافية للمدينة حيث وزع القبائل العربية على اماكنها بصورة ملفتة للنظر.. كذلك كان من نتائج تلك الدراسة ملاحظة ان

ماسينيون اعتمد على بعض ما كتب المستشرقين امثال هنري لامنس وغيره و حاول ماسينيون ان يربط بعض الاحداث التاريخية ببعض الاماكن في الكوفة للتعزيز من مكانة المدينة رغم انه اخفق في بعض تلك الاحداث ..

عد ماسينيون الكوفة نقطة اتصال بين التاملات الدينية عند الغزاة و بين الاساطير الكلدانية القديمة في سياق حديثه عن مسجد الكوفة كذلك انا لارفاقه بعض الملاحق بكتابه مثل الخرائط لمدينة الكوفة القديمة دورا في اضاء صبغة شبه ملمة لما بدأه من تخطيط لتلك المدينة العربية الملخص:

تعد المدينة و التمدن ارقى انجاز توصل اليه الانسان في استقراره على الارض وهي المعنى الاساسي للحضارة كونها مركز الاشعاع الفكري الجامع لكل المظاهر المادية لتلك الحضارة فهي المعنى الحضاري الذي تم فيه التفاعل بين الناس على وفق قيم مقدسة يحترمها الجميع نابعة من المفاهيم المتمثلة لمصدرها الرئيسيين القران الكريم و السنه النبوية المطهرة ..

والمدينة الاسلامية ليست ظاهره جغرافية او تاريخية فحسب بل هي اولا وقبل كل شيء ظاهرة دينية اتسمت بتعبير و تنظيم مكاني حسب ما جاء في التشريع الاسلامي اذ امتزجت القوانين المادية والقيم الروحية .. وقد ورد عن رسول الله صل الله عليه و اله و سلم (لا جمعه و لا تشريق و لا فطر و لا اضحى الا في مصر جامع او مدينة عظيمة) .. وقد اختلف تاسيس المدن الاسلامية كلا وفق الغرض او الهدف من تاسيسها فمنها ما بدأ على هيئة معسكرات حربية مثل الكوفة و البصرة و الفسطاط وغيرها و منها لاغراض ادارية تواصل و منها ما انشأ كحواصم او حواضر الدول مثل بغداد و القاهرة و منها ما كان في البداية كمناطق ارتكاز تحتصينية للدفاع و بمرور الزمن غلب عليها الطابع الديني و تحولت الى مدن مثل الرباط و مجريط وغيرها و منها ما نشأ و نما مرتبط بعوامل دينية النجف و كربلاء و الكاظمية وغيرها

ونتجزأ مدينة الكوفة من بين تلك المدن لاهميتها في التاريخ الاسلامي فقد تناولها القاصي والداني في البحث و الدراسة و التمحيص وكان للمستشرقين جانبا من تلك

الدراسات .. ولتسليط الضوء على بعض ما تناوله المستشرقون عن مدينة الكوفة كانت هذه الدراسة ..

فلا يخفى على كل باحث في الاستشراق ان معناه الاعم هو دراسة الشرق ثقافته ، معتقداته ادا به و عاداته وتقاليده و اساطيره من قبل علماء و مؤسسات غربية و معناه الاخص فهو دراسة العلوم الاسلامية واداب المسلمين و حضارتهم واثارهم من قبل علماء و باحثين غير مسلمين و مؤسسات غير اسلامية ..

حيث شكلت كتاباتهم عن الشرق ماده خصبة للباحثين في مجال الدراسات الاستشراقية و انقسم المستشرقون في الكتابة عن مدينة الكوفة ما بين مادح و قادح فمنهم من نعتها بانها مدينة بلا وجه اي لا هي اسلامية و لا هي يونانية قديمة و قال قسم اخر انها ليست اسلامية لانها حافظت على تاثيرات المدينة اليونانية القديمة و كأن هم هذا القسم من المستشرقين الانتهاء الى حقيقة واحدة وهي انه ليست هناك مدن اسلامية لان مفهوم المدينة الذي يملكون من خبرتهم مع مدنهم لا ينطبق عليها و يتصل من جهة ثانية بالرؤية السائدة عن الانسان الشرقي و المنظومات الشرقية الشاملة التي تساعد على نشوء مجتمعات مدنية ..

ومنهم من اولى اهتماما بالغاً بها و عدها عاصمة الحضارة الاسلامية انذاك و كان للمدرسة الفرنسية الاثر البالغ في الكتابة عن مدينة الكوفة متجسدا بكتاب خطط الكوفة لويس ماسينيون الذي اتخذته هذه الدراسة نموذج للمقال الاستشراقي عن مدينة الكوفة حيث تناولت تعريفاً بالمستشرق و مؤلفاته ثم تطرقت الى البحث في الكتاب من حيث دراسته اجتماعياً و اقتصادياً و ثقافياً من وجهة نظر المستشرق حيث تناول ماسينيون مدينة الكوفة طارحاً اسباب تناوله لها في مقدمته اعتقاداً منه ان هناك قصور من قبل المستشرقين في وضع خارطة للكوفة كذلك عزا اهتمامه بها كونها منبت لاكثر الفرق الامامية فبدأ بتمصير الكوفة و استعراض لاهم القبائل التي سكنتها ثم تناول اهم المصادر التي استسقى منها معلوماته عن المدينة وكذلك بحث الجوانب المختلفة لمدينة الكوفة مبتدأً بالجانب الثقافي من شعر و نثر و خط و مدرسة متكاملة العلوم ثم تطرق الى

الجانب الاقتصادي و العمراني خاتما الكتاب بخرائط للمدينة وفهارس الاعلام و  
الاماكن

english: Conclusion Finally, it is clear from the foregoing that a purely Islamic, Arab city of Kufa with all its details and had left a clear imprint in the Arab-Islamic history because of their historical, religious and cultural role. Allowing the orientalisists, a chance to write about after many attacked and Gallois Oriental Studies in General and Islamic Arabic in particular. Featured French Orientalist Louis masnion writing about that city after he visited her, wrote about their plans and draw some basic parameters had outlined in it. Arabic: .. English: Where it was clear which topographic character book masnion has distributed Arabic tribes on places of domicile in the city of Kufa, a striking image. It was the outcome of this study note that masnion had adopted some of what was written about the city

English: Masnion tried to connect public spaces in the city of Kufa by historical events to enhance the prestige of the city though he failed to address some of those events. Kufa masnion promised connection point between alabkien Ifazah and religious Musings among ancient Chaldean mythology in speaking of the almofh mosque. Also to attach some supplements and maps of ancient Kufa play in a semi familiar to what he started planning for that city Islamic

الهوامش والمصادر:

- ١ - امين ، حسين ، مسجد الكوفة في التاريخ مجلة الكوفة ، المجلد الخامس ، العدد الاول ٢٠٠١ ، ص ٥٦
- ٢ - البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر(ت ٢٧٨ هجرية) فتوح البلدان طبع مكتبة القاهرة ، ١٩٥٦ ص ٢٤٠
- ٣ - الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد(ت ٣١٠ هجرية ) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، طبع دار المعارف، مصر ١٩٨٥ ، ج ٣ ، ص ١٤٥
- ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم ( ٦٢٠ هجرية) الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام ، نشر دار الكتاب العربي ، لبنان ج ٢ ص ٢٥٧

٤- المقريري ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي ( ٨٤٥ هجرية) المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف الخطط المقريرية نشر دار صادر، بيروت، ١٩٧٥، ج ٢، ص ٨٥

٥- سوق الحكمة موضع بناوحي الكوفة ينسب الى حكمه بن حذيفه بن بدر الذي كان قد نزل عنده ينظر الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت ٦٢٦ هجرية) معجم البلدان ، نشر دار صادر بيروت ١٩٨٠، ج ٣، ص ٢٨٣

٦- كويقة ابن عمر موضع منسوب الى عبد الله بن عمر بن الخطاب بعد ان قتل ابنة ابي لؤلؤه و الهرمزان سكن فيه ينظر الحموي معجم البلدان ج ٤ ، ص ٤٩٦

٧- ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج ٢ ، ص ٢٥٩

٨- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هجرية) المقدمة ، تحقيق مصطفى الشيخ مصطفى، نشر دار الرسالة ، بيروت ص ٦٤٩ - ٦٥٠

٩- اللحام ، عبير، الاستشراق في قراءات المدينة العربية الاسلامية، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ١٦ ٢٠٠٤ ص ٩٥

١٠- عثمان ، حميد عبد الستار، المدينة الاسلامية ، نشر المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ١٩٨٨ ص ٤٥

١١- اكبر، جميل عبد القادر، عمارة الارض في الاسلام مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٢ ص ٥٢

١٢- عزب ، خالد محمد مصطفى ، فقه العمارة الاسلامية ، نشر دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ١٩٩٧ ص ٧٣

١٣- الانصاري ، رؤوف احمد السياحة في العراق ودورها في التنمية و الاعمار، مطبعة هادي برس ، لبنان ٢٠٠٨ ص ٧٧

١٤- جعيط ، هشام ، الكوفة نشأة المدينة الاسلامية ، نشر دار الكويت للنشر ، الكويت ، ص ٨٥

- ١٥- بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، نشر دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٩٣ ص ٥٢٩ ،
- ١٦- بير رو كالف ، ماسنيون و الاسلام ، ترجمة عبد الرزاق الاصغر مجلة التراث العربي ، العدد ، ٨٣ دمشق ص ٢٥
- ١٧- بدوي موسوعة المستشرقين ص ٥٣٠
- ١٨- جابر ، بجيدة ابا زيد ، لويس ماسنيون وجهوده في الفكر الفلسفي الاسلامي ، مجلة العربي ، ٢٠٠٨ ، ص ١ - ١١ سنة ٢٠٠٨
- ١٩- بدوي موسوعة المستشرقين ص ٥٣٢
- ٢٠- هم اسرة علمية معروفة في بغداد تنتسب الى مدينه الاوس و يرجع نسبها الى اهل البيت تولى عدد من افرادها بعض الوظائف الادارية في الدولة العثمانية وقد اشتهر من بينهم العلامة ابو الثناء الالوسي الذي الف العديد من الكتب في الادب و التفسير اشهرها كتاب روح المعاني في تفسير القران و السبع المثاني ينظر السيد علي
- ٢١- بدوي موسوعة المستشرقين صفحه ٥٢٩ - ٥٣٠
- ٢٢- بييرو كالف ماسنيون و الاسلام ص ٢٣
- ٢٣- بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٧٤
- ٢٤- من علماء القرن السادس الهجري يطلق عليه الشطاح لكثرة شطحاته في كتب العرفان والتصوف توفي عام ٦٠٦ هجرية ينظر انصاريان ، حسين العرفان الاسلامي ، نشر دار احياء التراث العربي ، بيروت ٢٠١٦ ، ص ٨٧
- ٢٥- نسبة الى اسماعيل ابن الامام جعفر الصادق وقد تاسست بعد وفاة الامام الصادق سلام الله عليه المتوفى سنة ١٤٨ هجرية حيث انقسم الشيعة بعد وفاته الى فريقين احدهما مؤيد لاسماعيل الابن الاكبر للامام في حين طالبت الفرقة الاخرى بالامامة لابنه الاصغر الامام موسى الكاظم سلام الله عليه و قد اتسمت عقائد الاسماعيلية بالغموض الشديد لذلك يطلق عليها بالباطنية استطاعت في فترة تاريخية معينة من الانتشار و تاسيس عدد من الدويلات المتوائمة للخلافة العباسية لاسيما في بلاد فارس و بلاد ماوراء النهر و عدت هذه الحركة النواة الحقيقية لتاسيس الدولة الفاطمية لاحقا و



اصبحت الاسماعيلية المذهب الرسمي للدولة الفاطمية ينظر لويس ، برنارد ، فرق ثورية في بلاد الاسلام ترجمة محمد موسى ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٩ وما بعدها

٢٦- العلوية لفظ ذو دلالة دينية سياسي يطلق على كل من تولى الامام علي و شايعه وسعى في نصرته و احيانا تطلق يراد بها اولاد الامام و ذريته اما النصيرية العلوية فهي طائفة شيعية تتميز عن الفرق الشيعية من الناحية العقديّة وسميت بذلك الاسم نسبة الى مؤسسها محمد بن نصير النميري و الذي هو بمثابة نائب الامام الغائب لدى النصيرية اما مراكز تواجدهم فهم ينتشرون في تركيا بكثرة كما يتمركزون في الساحل السوري و منطقة الجبل بالاضافة الى بعض المناطق في لبنان .. ينظر الخطيب محمد بن احمد ، الحركات الباطنية في العالم الاسلامي وعقائدهم و حكم الاسلام فيها ، دار صادر بيروت ص ٣١٩

٢٧- بدوي ، موسوعة المستشرقين ص ٥٣٤

٢٨- بدوي ، مصدر سابق ص ٥٤٠

٢٩- المصعبي ، تقي بن محمد ، مقدمة كتاب خطط الكوفة وشرح خريطتها لماسنيون ، نشر دار الوراق بيروت ١٩٣٩ ، ص ٨

٣٠- ما سنيون لويس خطط الكوفة وشرح خريطتها ترجمة تقي بن محمد المصعبي ١٩٣٩ ، ص ٣٩

٣١- الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ، ص ١٢٢ و ج ٦ ص ٣٤

٣٢- ما سنيون خطط الكوفة ، ص ٥٣

٣٣- ما سنيون مخطط الكوفة ، ص ١٧ - ٣١

٣٤- الحموي معجم الادباء ، تحقيق احسان عباس ، نشر دار العرب ، بيروت ، ١٩٩٣ ج ٥ ، ص ١٠٦ - ١١٥

٣٥- ما سنيون خطط الكوفة ص ٣٧

٣٦- الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ، ص ٥٠١

- ٣٧ - ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ( ت ٢٣٠ هجرية ) تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة، ٢٠٠١ ج ٦ ، ص ٢٣٨
- ٣٨ - ما سنيون ، خطط الكوفة ص ٢٥
- ٣٩ - ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد الوراق ( ت ٤٣٨ هجرية )  
الفهرست ، تحقيق ابراهيم رمضان ، نشر دار المعرفة ، بيروت  
بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ٦٤ ، ص ٧٧
- ٤٠ - ماسينيون ، خطط الكوفة ص ٤٣
- ٤١ - المصدر نفسه ، ص ٥٠
- ٤٢ - المصدر نفسه ، ص ٦٣ و ٣٣
- ٤٣ - المصدر نفسه ، خطط الكوفة ص ٧٠